والتي الفعل فيها اكثر من الكلام فكالطبيب فان الفعل عملهُ بيدهِ اكثر من كلامهِ . واما التي يتساوى الكلام فيها بالفعل فالموسيقية فلذلك هي اشرف الصناعات وهو ان يكون كلامهُ وفعلهُ شيئًا واحداً مثل صاحب العود الذي غناؤهُ بازاء ضربه

هذا ما افسح المجال لانتخابه من هذا الكتاب النفيس الذي جمع كثيراً من الفوائد المشتتة في بعض كتب العرب . وبعض ما فيه لم نقف عليه في غيرهِ مما وصلت اليه يد البحث . وفي هذا القدر الآن تعريف للكتاب فانه مجموعة حكمة وادب وفنّ . وهو جدير ان ينشر بعد اجالة يد التنقيح فيه وتذييلهِ بحواشٍ وتفاسير توضح مبهماتهِ . ومعارضتهِ بنسخٍ اخرى او مجاميع اتفق ما فيها مع ما فيه من المباحث والله المسؤول ان يوفّق مجمعنا الى نشر مثل هذه الآثار النفيسة متى توفرت لديه النفقات اللازمة بعناية الحكومة وارباب الفضل والاريحية الذين يعاضدونه بجوائزهم بمنه وكرمهِ

عيسى اسكندر المعلوف

الحفلة التأبينية

للعلامة الاثري المرحوم احمد كمال باشا المصري

وصف الحفلة

في الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الجمعة التاسع عشر من الشهر الحاضر غصت ردهة مجمعنا بجمهور المدعوين والمستمعين من طبقات مختلفة بين علماء وادباء ووجهاء لشهود الحفلة التي اقامها مجمعنا لتأبين هذا العلامة الاثري اللغوي احد اعضائه المراسلين في القطر المصري الذي فجعنا بوفاته في ٥ آب الماضي ففقدت الآثار علَمًا من اعلامها واللغات القديمة ركنًا من اركانها

وكان في صدر الردهة رسم الفقيد مكبراً ملوناً رسمته ريشة المصور المتفنن الشهير توفيق بك طارق تذكاراً لهذه الحفلة منقولا عن آخر رسم له

فألقى رئيس المجمع الاستاذ السيد كردعلي كلمة وافية في النبوغ المصري افتتح

فيها الحفلة . ثم احال الكلام الى الاستاذ المعلوف فألقى محاضرة في اصل الفقيد ونشأته واعماله الاثرية واللغوية وقد نشرناها في ما يأتي . وعزّيا القطر المصري شقيق سورية بهذه الفاجعة العظيمة داعيين للفقيد بالرحمة والرضوان ولآله ولا سيما انجاله ومريديه بطول البقاء

ثم ختمت الحفلة بآيات قرآنية كريمة جُوّدت عن نفس الفقيد تلاها شيخ القراء عندنا الشيخ عبدالله المنجّد بصوته الرخيم ولفظه الفخيم . ثم عقبه الاستاذ عبدالوهاب بك العشيني المصري بتجويد آيات اخرى كريمة اجاد فيها وختمها بشكر المجمع والسوريين لعنايتهم بتمجيد مصري عظيم وثنائهم على المصريين ونهضتهم فخرج الجميع آسفين لفقد هذا العلامة الكبير ومشاطرين القطر المصري شقيق قطرهم والمجمع العلمي مصيبتهما فيه ومكررين له الرحمات ولآله جميل العزاء

* * *

ما قيل فيها

الكلمة الافتتاحية التي القاها الاستاذ الرئيس السيد محمد كردعلي :

١

النبوغ المصري

يا سادتي ويا اخواني

منذ نحو مئة سنة والقطر المصري ينهض نحو الترقي ويحتذي مثال الغرب في نهوضه . وكان من قبل لولا جامعة الازهر الدينية اشبه بكثير من بلاد العرب في قلة العلم والنور . وبالأزهر المعمور لم ينفك المصريون على اختلاف اعصارهم وادوارهم ان يكون فيهم من اذا سئل سَدّد في علوم الشريعة وما يلزمها من علوم اللسان .

ولقد خلد التاريخ اسم (محمد علي الكبير) جد الأسرة المالكة الحالية بما أسداه الى مصر من الايادي البيضاء فانعشها من سقطتها وايقظها من طويل رقدتها . ولو كتب له تحقيق جميع امانيه الشريفة لكان العرب اليوم من ارقى الدول الكبرى في العالم . فانه رحمه الله لم يترك باباً من ابواب النهوض المادي والعلمي الا وطرقه على اجمل صورة وعمل بجميع الاسباب لحياة مصر

وكان لعلماء الفرنسيس الذين استصحبهم نابوليون في حملته على مصر والشام يد طولى في وضع اساس هذه النهضة المباركة على النظام الاوربي . وعدّ علماء فرنسا من بعد العامل الأقوى في معاونة محمد علي على اسعاد القطر ثم جاء علماء الانكليز والالمان، الطليان وغيرهم من امم اوربا وخدموا مصر بتنظيم سككها واصلاح ريها واحياء زراعتها واستخراج آثارها وانماء القوى المفكرة العاملة في بنيها

نعم كان العلم في مصر حتى الثلث الاخير من القرن الماضي لا يتعدى الا قليلاً دائرة الدينيات والادبيات . ولمحمد علي الكبير يرجع الفضل الاكبر في بث مبادئ العلوم التي يسمونها خطأً الحديثة اذ كان لاجدادنا فيها القدح المعلى وهم الذين نقلوها الى امم الحضارة الحديثة مشفوعة بابحاثهم وزياداتهم واختراعاتهم وبعد عهد محمد علي ضعفت العناية بالعلوم التي كان انقطع سندها دهراً طويلاً وكادت البلاد تدخل في سبات مؤلم وتنبّت بميت . كما ضعف العلم بعد عهد شارلمان في فرنسا . وبين محمد علي وشارلمان شبه كبير في التناغي بحب المعارف والفضائل . وكذلك حدث في الاستانة بعد دور الفاتح فانقطعت الرغبة في العلم بموت السلطان محمد الثاني وكاد يزول كل ما أسسه لاحياء معالمه . والارتقاء والانحطاط ولا سيما في هذا الشرق القريب تبع للفرد اكثر من الجماعة فان اسعد الحظ الامة بسلطان عاقل عادل سعدت ونجحت والعكس بالعكس .

ولما انتهى في مصر دور الناقلين والمترجمين والجامعين والمقتبسين في بعض ضروب العلم جاء دور الباحثين والمؤلفين والمبدعين واستطاع المصريون باصلاح شؤونهم الاقتصادية ان يتلقوا العلم الصحيح في جامعات الغرب فكان لهم على الدوام بضع مئات من الطلبة وكثر ارتحال الاوربيين الى مصر وطواف المصريين في اوربا واشتد التمازج بين المصري والغربي فاقتبس المصري بعض ما ينقصه من اساليب النهوض وكان لادخال الاصلاح على الازهر وتأسيس مدرسة الالسنة ودار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي والحقوق والزراعة والهندسة وغيرها من المدارس العالية والثانوية والابتدائية ولا سيما الكتاتيب في القرى والمزارع ما نراه من آثار نهوضها فندهش له ونهش . وكلما كثر سواد المتعلمين هناك جاءت منهم طبقة

امثل من التي سبقتها . وتراجع كل نتفة في العلم والصنائع واصبحت الكلمة للاخصائيين والمفننين . وكلما استحكمت حلقات هذا الرقي استغنت مصر عن الغريب واكتفت بعقول العاملين من رجالها . سنة الخالق في الشيء والارتقاء

تطورت مصر في نهضتها الاخيرة اطواراً كثيرة فكان الضعف يعروها تارة والقوة تصاحبها اخرى . وكان بعد نوابغ رجالها بادي بدء بالآحاد فأمسوا يعدون اليوم بالمئات . وكلما امتزج المصري بعنصر آخر من العناصر الشرقية حسنت ملكاته وصحت على الترقي ارادته ونياته . وقد نبغ فيها لعهدنا رجال ليسوا مفخراً من مفاخرها فقط بل هم مفخر العرب والشرق عامة ومنهم والحق يقال افراد لا يقلون عن أرقى علماء الغرب في ذكائهم ومضائهم وبحثهم ودرسهم وذلك في مجموع العلوم البشرية ولاسيما في الهندسة والكيمياء والتصوير والطبيعة والحقوق والطب والجراحة والسياسة والادارة ومن اعظم نوابغها زميلنا احد اعضاء المجمع العلمي العربي المرحوم احمد كمال باشا الذي نحتفل الآن بتكريم اسمه واستمطار الرحمات عليه فقد كان اجزل الله ثوابه مثال النبوغ المصري وآخر طراز كامل من افراد الدهر . رزق صفات العالم العامل وصرف نقد عمره في خدمة الآثار ولاسيما علم الآثار المصرية حتى اصبح على صعوبة هذا الفن وحداثته الحجة الثبت فيه فكان اذا ذكر في الغرب والشرق علم الآثار المصرية يتمثل في شخصه ويتجسد في جهاده . عمل هذا بعيداً عن الجمجمة في زاوية صغيرة من بلده فعمت شهرته الخافقين ولم تخف جلائل اعماله على الغريب دع القريب

ايها السادة . اذا قام مجمعنا بتعداد بعض مآثر نابغة الشرق في الآثار فانه يقضي واجبين واجب العلم بتكريم احد حملته واساطينه وواجب آخر اعم وهو التنويه بذكر النابغين من المصريين وتمجيد النهضة العلمية المصرية التي لها الفضل الاعظم على نهوض العرب النازلين في ارجاء القارتين العظيمتين آسيا وافريقية

لمصر ولرجال مصر ولا نكران للجميل اثر ظاهر في الامة العربية والاسلام فاذا ذكرنا مصر فاننا نذكر آخر دولة انحطت من ممالك العرب واول دولة نهضت فيه . اننا بترداد اسم مصر نذكر امة حفظت لنا تراث الاجداد . ننوه بشعب كريم احتفظ

*

بلسانها ومشخصاتنا ولولا مصر بعد عهد الجراكسة والترك لاضمحلت العربية ومقوماتها ولتأخر نهوض العرب قرونًا وكنا اقرب الى الاندماج في غيرنا من العناصر المتغلبة ولساءت حالنا العلمية اكثر مما ساءت وشاهدنا ونشاهد تخريباتها في جسم جامعتنا ومجتمعنا

انتفع الشام وهو القطر الشقيق الاصغر لمصر المحبوبة بالنهضة المصرية اكثر من عامة الاقطار العربية للجوار وأواصر القربى وكثرة التشابه بينهما ولان اقدارهما في عهد الدول الاسلامية كانت واحدة وحياتهما الاجتماعية متجانسة . هكذا كانت مصر والشام في دولة الراشدين والدولة الاموية فالعباسية فالطولونية فالفاطمية فالايوبية فدولة الاتراك المماليك فدولة الجراكسة فدولة الترك العثمانية وكانت مصر منبعث حضارة في معظم ازمانها كما كانت في العقود الاخيرة من حياتها ملجأ ومعتصمًا للاحرار ومباءة ممتازة للعلم الاسلامي تأخذ عنها الاقطار والامصار .

نعزي مصر بفقيدها النابغة ونحييها بهذه المناسبة ونرجو لها حياة طيبة بابنائها النجباء . نحيي بها اهم جزء من بلادنا العربية طالما حنى على العرب وحمل النور اليهم مغتبطًا . مصر اليوم باريز العرب وعاصمتهم الادبية تشبه ايطاليا في عهد النهضة اواخر القرون الوسطى وكان سرى منها ضياء المعارف والفنون الى سائر ممالك اوربا فقامت بتأثيرها المدنية الغربية الحديثة . ومن مصر سار امس ويسير اليوم وسيسير غدًا شعاع من هذا النور النافع فيعم خيره الاصقاع العربية كافة ويومئذ يغتبط العرب ويهنأون لابرازهم بفضل قرائح بنيهم آثارًا حسنة في العلم والصناعة كما فعلت يابان في القرن الماضي وعندئذٍ يعيد الشرق الى الغرب ما كان استبضعه من بضائع العلوم والصنائع ويقضي الدين مع الشكر ويرد القرش عشرة فنعد شيئًا في مجموعة المدنية الحاضرة كما كنا في العصور السالفة كل شيء وكان لنا الأثر المحمود في تكوين المدنية الغابرة

والآن اترك الكلام لصيفي الاستاذ معلوف يتلو على مسامعكم صورة مصغرة بل مجسمة من عمل عضونا الذي فجعنا بفقده يتمثل لكم فيها النبوغ المصري احسن تمثيل . ونرفع تعازينا واسفنا من ضفاف بردى الى بني قومنا على شطوط النيل المبارك لفقد رجلهم ورجلنا العزيز ونطلب له من المولى تعالى العفو والرضى والرحمة وانا لله وانا اليه راجعون .

٢

فقيدنا وآثاره

وهذه المحاضرة التي القاها الاستاذ السيد عيسى اسكندر المعلوف في الفقيد وآثاره نقتطف منها ما يحتمله المقام. قال بعد ان تلا ابياتاً لبعضهم في رثاء ابي الطيب المتنبئ متجهاً الى الفقيد آسفاً مترحماً :

العرب والافرنج والآثار المصرية

وصف قدماء المؤرخين آثار مصر ومنهم العرب ولكنهم لم يفهموا سرَّ القلم الهيروغليفي (الكتابة المقدسة) ومن اشهر من وصف تلك الآثار من العرب المسعودي في (مروج الذهب) المطبوع وفي (اخبار الزمان) المخطوط النادر والقضاعي في (الخطط والاخبار) وعنه اخذ المقريزي في خططه التي وصف بها مصر احسن وصف واجاد بعده عبدالقادر البغدادي في (الافادة والاعتبار) . ثم ابن وصيف شاه في (جواهر البحور) وعنه اخذ المقريزي ايضاً في خططه وابن عبد الرحيم في (تحفة الالباب) وغيرهم . وسموا الكتابات المصرية بالقلم المجهول او البربائي او الحرمسي . فلما جاء نابوليون بونابرت بجيشه وفتح مصر وجد جنده حجر رشيد الشهير باللغات الثلاث فأعلاه كتب بالهيروغليفية وهي قلم الدين كالنسخي عندنا ووسطه بالديموتيكية وهي قلم الكهنة كالديواني في عبدنا وما تحتهما باليونانية المعروفة . فحل شمبوليون الفرنسي الكتابة بمعارضتها (١) . ونشأ من قراءة الكتابات القديمة علم فن الآثار المصرية Egyptologie فاعتنى به العلماء وكثر اختلافهم الى القطر المصري للوقوف على عجائبه النفيسة وكان اهم من اشتهر بذلك في مصر ماريت باشا مؤسس متحف بولاق ووكيله الدكتور هنري بروغش ثم ماسبرو ومن جاء بعدهم من علماء اوربة واميركة ممن لهم مباحث ومؤلفات في مصر ومكتشفاتها . ومن اهم ما انشئ في مصر لآثارها مدرسة الالسان المصري القديم سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) وكان مديرها بروغش المذكور فانتقلت بعد بضع عشرة سنة وجددها ماسبرو ثم انتقلت

(١) راجع مجلة المجمع هذه (٢ : ٢٥٧)

الى أجل غير مسمى . فتخرج في هذه المدرسة المحتفل به فقيدنا المرحوم ونخبة من شبان مصر فلم يشتغل منهم بالآثار غيره وغير احمد بك نجيب الذي صار مفتشاً لدار الآثار المصرية . ولكن بعض طلبة الفقيد اشتغلوا بالآثار وهم من موظفي دار التحف الى الآن وقد اشتهروا بمؤلفاتهم ومعرباتهم ومباحثهم

نشأة الفقيد وسيرته

هو المرحوم احمد بن حسن بن احمد . كان والده حسن احمد من جزيرة كريت (من امرة حكم بعض اسلافها مقاطعة هرقلية فيها) فجاء مصر وتديرها فولد له المحتفل به في القاهرة في ٢٩ شعبان سنة ١٢٦٧ هـ فاعتنى ابوه بتعليمه فادخله مدرسة المبتديان بالعباسية وهو في الثالثة عشرة من عمره فبقي فيها اربع سنوات وانتقل سنة ١٢٨٤ الى المدرسة التجهيزية فصرف فيها سنتين فحصل ما تفوق به على اقرانه بذكائه واجتهاده وسنة ١٢٨٦ دخل مدرسة اللسان المصري القديم فانكبّ على درس المصرية القديمة على استاذه بروغش باشا المذكور فتضلع منها ومن غيرها وتوسم فيه اساتذته الفلاح باللغات والآثار . فأتم علومه وحذق اللغات العربية والفرنسية والالمانية والقبطية والحبشية فلقب باسم (كمال) لآدابه وتفوقه فصار علماً لهُ ولمن بعده . ولما ذاق لذة علم الآثار وشاهد ما في دور التحف وما يظهر في الحفريات منها ازداد رغبةً فيه ومارس العمل ورافق كبار اساتذة العاديات والبعثات الحفرية . ونزعت نفسه الى ان يقلّد عملاً في المتحف الوطني فلم يفلح لاسبابٍ

فاقتصر على ما وُكل اليه من الاعمال ولم ينفك عن استعمال ميله ومجاراة لذته بذلك الفن الحديث ومطالعة مجلاته ومؤلفاته ومشاهدة غرائبه مما هو عقيم في نظرنا مولّد عند غيرنا على جلالة شأنه والاعتماد عليه في تصحيح التواريخ وتحقيق الحوادث ولهذا افضتُ في فائدته بمحاضرة سالفة لي في هذا المقام عنوانها (كيف تحقق الآثار التاريخ)

فصرف رصيفنا حياته الطيبة بين درس وتدريس وتحبير وتحرير وتأليف وتعريب وتنقيب وتجوّل واستشراف الحفريات الأثرية وزيارة المتاحف الاوربية

والاختلاف الى المتاحف المصرية وعادياتها النفيسة يراجع ويصحح ويستنسخ ويستنطق تواريخها وشؤونها ويدوّن ذلك في مقالات ومحاضرات وكتب بجلّد وثبات وتمهيد العوائق وإعراض عن الحُسّاد

وكان همه في آخر حياته ثلاثة مشاريع مفيدة لبلاده التي افنى حياته بخدمتها ودرس آثار اسلافها (اولها) تجديد مدرسة اللغات القديمة لتكثير سواد الاثريين الوطنيين خدمة لمتاحفهم وتواريخهم . و(الثاني) تعميم المدارس والمتاحف ودور الكتب في انحاء القطر افادة لجميع طبقات المصريين و(الثالث) طبع معجمه الكبير في المقارنة بين اللغتين المصرية والعربية وما فيهما من الموافقات واسرار الاشتقاق

فظفر بامنيته قبيل وفاته بمساعدة وزارة المعارف فكافأته الحكومة بترقية رتبته وقررت تخصيص مبلغ من المال للمدرسة وللمعجم وبدأت المديريات تسعى لتحريضاته لتأسيس المدارس ودور الكتب والتحف في انحائها . فما كاد يغتبط بهذا النجاح بعد مطال طويل ومعاكسات كثيرة حتى وافته منيتهُ فجأة في الساعة العاشرة من مساء الاحد في ٥ آب الماضي في منزله بشارع جزيرة بدران واحتفل بدفنه ثاني يوم الاثنين عند الساعة الرابعة بعد الظهر بموكب حافل بكبار رجال الحكومة والعلماء والاعيان في مدفن اسرته بقرافة جلال الدين السيوطي وقد بكاهُ عارفو فضله والمستفيدون من آثاره بكاء آله رحمهُ الله

على اننا لا نخال وزارة المعارف الجليلة مهملة ما قررته من الانشاآت المذكورة خدمة للفقيد بعد موته وان حرمها في حياته . ولقد كتب الي احد كبار الاصدقاء من مصر ان اصحاب المقتطف ينوون طبع المعجم على الحجر اذا احجمت المعارف عن طبعه كما وعدت وهي خدمة كبيرة للعربية والآثار تخلد لهم اطيب ذكر

اعماله ورتبه ومنزلته العلمية واخلاقهُ

كان رفيع المكانة في عيون من شدا شيئاً من الحضارة المصرية او عرف ذرواً من المباحث اللغوية القديمة ولا سيما معارضة اللغات .. على الاخص من ألف في

مثل هذه الموضوعات الشاقة . فاستشهد كثير من مؤلفي الافرنج والعرب وباحثيهم بكتبه واقواله وعجبوا من جلده وتنقيبه

واهم الاعمال التي مارسها وظيفة معاون ومترجم فرنسي في نظارة المعارف . ومدرّس اللغة الالمانية في المدارس الاميرية بمصر والاسكندرية . ومترجم فرنسي بمصلحة البواخر البريدية وديوان الحربية . وكاتب فرنسي في ادارة الجمارك (الكمارك) العامة . ومترجم ظهورات بنظارة المالية

ولما تولّى رياض باشا رئاسة مجلس النظار وضعه في المتحف كاتم اسرار ومترجماً واستاذاً للغات القديمة . ثم صار بعد ذلك امين المتحف المصري ومساعداً فيه . ثم اعتزل العمل وبقيت له امانته شرفاً الى وفاته

وكان عضواً في كل من المجمع العلمي المصري . والجمعية الجغرافية . ومجلس المعارف المصري . وجمعية الرابطة الشرقية . ومجمعنا الدمشقي . واستاذاً للحضارة القديمة في الجامعة المصرية . ومدرّساً للحلقات العليا في مدرسة اللغات القديمة — التي سعى بانشائها اخيراً فوقّفت بوفاته لعدم وجود وطنيّ مثله كفء لتدريس اللغات القديمة — فقام بكل ما وكل اليه من الاعمال احسن قيام

وطاف في اوربة مزار دور المتحف فيها وحضر بعض المؤتمرات الاثرية وآخر رحلاته سفره الى باريس في صيف السنة الماضية لشهود الاحتفال بالعيد المئوي لشمبوليون فنال من الأوسمة العثماني الثالث والرابع والمجيدي الثالث . ونوط (مدالية) المجمع العلمي المصري والرتبة الثانية المتمايزة مع لقب بك وقبيل وفاته نال رتبة ميرميران

اما اخلاقه فكان رحمات الله عليه مثال الجدّ والصدق والحزم والروية والاقدام والجلد والثبات والقناعة . قليل الكلام كثير البحث عن الحقائق والاسانيد صالحاً محافظاً على مذهبه محسناً تربية اسرته ومخلصاً في خدمة وطنه ومنقطعاً الى ابحاثه ومحققاً في ما يكتبه ويؤلفه . نزوعاً الى توسيع دائرة العلوم الاثرية في قطر هو مبعث الآثار ومصدر العاديات لئلا يُعَدّ الوطنيون مقصّرين في معرفة ما تركه لهم اسلافهم من البدائع فتنحط منزلتهم في عيون عارفيهم فصرف حياته محرضاً الحكومة واصدقاءه والنبهاء على اتقان ذلك فبرع فيها كثيرون منهم اخصهم ولده

الدكتور حسن بك مؤلف كتاب الطب المصري القديم وغيره وابن شقيقته محمد بك شعبان ونسيبه محمود افندي حمزه وهما الامينان بالمتحف المصري

خدمته للآثار القديمة

كان يخدمها بمؤلفاته ومقالاته ومباحثه الى ان عين كما مرّ في المتحف المصري ومشارفة الحفريات فخرج على يده كثير من الذين نبغوا بهذا الفن لانه سعى سنة ١٩١٠ م لدى صاحب المعالي احمد حشمة باشا وزير المعارف بتأسيس مدرسة لتعليم اللسان المصري القديم فرخص له بذلك فانتخب سبعة من نوابغ الطلبة في مدرسة المعلمين العليا فدرسوا عليه وخدموا الآثار وبينهم ولده الدكتور حسن بك . وكذلك سنة ١٩١٣ درس عليه ستة آخرون من طلبتها وبعضهم درس عليه في بيته بعد الغائها . وسنة ١٩٢١ سعى لدى جلالة الملك فؤاد الاول لتخصيص ثلاثة من المصريين لدرس هذا الفن في المتحف تخرج وتمرينا فبعد ان تلقوا تلك الدروس مدة انتقلوا الى اوربة لاتمامها . وسنة ١٩٢٣ استأنف سعيه في تجديد مدرسة علم اللغات القديمة وهي الهيروغليفية والهيراتية والديموتيكية والقبطية والعبرية واليونانية واللاتينية فقبلت وزارة المعارف اقتراحه واختارته ليدرّس اللغة المصرية والآثار فاعجلته المنون عن ذلك ولقد اجرى حفريات في بعض انحاء القطر ولاسيما في الوجهين القبلي والبحري وانشأ دور التحف في طنطا والمنيا واسيوط . وقرّر كثيراً من الآراء بشأن الآثار المكتشفة (١) مثل اسم الريّان بن الوليد فرعون مصر الذي كان في ايام يوسف الصديق فانه قرأ اسمه في آثار تل بسطة (نراوس) فخالفه بعض الاثريين ثم وافقه آخرون بعد ان وجدوا الاسم يقرب من هذا واستشهد المترجم بخطط المقريزي القائلة : ان اسم الريان في لفظ القبط هو (نراوس) . وله مقالات كثيرة اثرية وآراء في وصف

(١) راجع كتاب (اصداء التوراة) صفحة ١٢٠ والمقتطف ١٤ : ٣٠٦ : ٥٦٣ : ١٧ و (الأثر الجليل) لاحمد بك نجيب المصري في مصلحة الآثار المصرية ص ١٥٣ و ٢٦٦ و ٢٨٦

جزيرة اصوان (١) والمطرية (٢) وآثار دهشور (٣) والفنون والصناعات المصرية القديمة (٤) ومقالة في توت عنخ امون وتاريخه (٥) وغيرها . وصرّح بمعارفه الواسعة وانشائه للمتاحف وغيرها كثير من الاثريين منهم مسيرو مدير مصلحة الآثار المصرية في خطابه بالجمعية العلمية الفرنسية في باريس (٦) . اما مقالاته الاخيرة قبيل وفاته في (متاحف العواصم ودور الكتب والمكاتب القروية وفوائدها للبلاد) فبراهين دامغة على غيرته ولا سيما اعتماد الحكومة المصرية على آرائه بشأن آثار توت عنخ امون التي شرع بوصفها وحض الحكومة على حفظها

خدمته للغة العربية

الف معظم كتبه بالعربية واجتهد في الاستشهاد باقوال مؤرخي العرب وتطبيقها على الآثار او مخالفتها اياها . وولع بمعرفة صول الاشتقاق والمعارضات باللغات السامية والهيروغليفية والقبطية فتح له ذلك باباً واسعاً في اللغة فاعتقد بادئ ذي بدء ان اللغة العربية اصل للمصرية لما بينهما من الموافقة في كثير من الصور وكتب في ذلك مقالات وجمع آلافاً من الالفاظ ورتبها بمعجم

ولكنه لما عثر على نقوش الدير البحري في طيبة الغربية ازاء الاقصر في زمن الدولة الثامنة عشرة (١٦٠٠ — ١٣٨٠ ق م) وهي ارقى الدول المصرية غيّر فكره الاول لأنه قرأ في تلك النقوش ما محصّلهُ :

ان قبائل المصريين القدماء يدعون الأعناء (جمع عنو) ومعناهُ الاخلاط من الناس يكونون من قبائل شتى . فكانوا اشتاتاً اجتمعوا في وادي النيل واسسوا فيه مدناً كثيرة منها مدينة عين الشمس ويقال لها بالمصرية (العين البحرية) . ومنها ارمنت وهي (العين الجنوبية) ومنها دندره وهي قديماً (عين) فلما كثر عددهم وضاقت تلك الانحاء بهم تفرقوا في الجهات المجاورة لوادي النيل فتوازعتهم البلاد هكذا :

(١) راجع المقتطف ١٥ : ٥١٣ (٢) المقتطف ١٧ : ٢٣٣ (٣) المقتطف ١٨ : ٤٦٦ (٤) راجع مجلة الآثار (٣ : ٣٠٦ و ٣ : ٥٤ و ١٠٣ و ١٥٣) (٥) المقتطف ٦٣ : ٦ (٦) راجع جريدة البشير البيروتية بتاريخ ٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٣ م

ذهب الفريق الاول منهم وهو المعروف باسم (اعناء الخنو او اللوبيين) الى بلاد القيروان وتونس والجزائر فتديَّرها . وسار الفريق الثاني المسمَّى (اعناء المنتو) الى بلاد الصومال واجتاز البحر الاحمر الى بلاد العرب وانتشر فيها ممتداً الى فلسطين . وسكن الفريق الثالث المسمَّى (اعناء السيتو) القسم الجنوبي من مصر حيث جنادل النيل . اما الفريق الرابع المسمَّى (باعناء الكنوز) فهو اهل النوبة . فكانت لغة هذا الشتيت لسان البلاد المتكلمة الآن بالعربية . وعلى هذا المبدإ وضع معجمه المطوَّل معتقداً أن لغة قبائل الاعناء التي سكنت مصر وما جاورها من الاقاليم هي اصل اللغة العربية بنص النقوش الاثرية وكتب في ذلك مقالات كثيرة (١)

آثار اقلامه

ترك آثاراً كثيرة فمن مؤلفاته العربية المطبوعة (الكمالات التوفيقية في الاصول الجبرية) و (العقد الثمين في محاسن اخبار وبدائع آثار الاقدمين من المصريين) وهو اول كتاب تاريخي ظهر بالعربية مبنياً على علم العاديات . و (الفرائد الدرية في قواعد اللغة الهيروغليفية) و(اللآلئ الدرية في النبات والاشجار القديمة المصرية) رتبه على حروف المعجم بحسب اللغة البربائية وفي آخره فهرس لاسماء النباتات على حروف الهجاء العربية . و (بغية الطالبين في علوم وعوائد وصنائع واحوال قدماء المصريين) وهو كثير الفوائد في تفصيل معارف المصريين وفنونهم وآدابهم . و(الخلاصة الوجيزة ودليل المتفرج بمتحف الجيزة) . و(ترويح النفس في مدينة عين شمس) . و (المنتخبات الحديثة في علم الحساب) . و (الخلاصة الدرية في آثار متحف الاسكندرية) معرَّب . و (دليل دار التحف المصرية الفاخرة لمدينة القاهرة) معرَّب ايضاً . و (الحضارة القديمة) وهو مجموع ما القاهُ على طلبة الجامعة المصرية عن تمدن قدماء المصريين الى آخر الاسرة الرابعة عشرة من دُول مصر . و (الدر

(١) راجع المقتطف ٥٩ : ٣٦٣ و ٤٧٢ ومجلة المنار المصري ١٨ : ٢٦٦ فما بعده وجريدتي المقطم والاهرام قبيل وفاته بقليل

النفيس في مدينة منفيس)

ومؤلفاته باللغة الفرنسية المطبوعة هي : (الدر المكنوز في الخبايا والكنوز) في جزءين اولهما عربي والثاني فرنسي ٠ و (صفائح القبور في العصر اليوناني والروماني) في جزءين ٠ و (الموائد القديمة من الطبقة الوسطى الى عيد الرومان) في جزءين ايضاً ٠ و (رسالة الملابس المصرية) و (رسالة الاشارات الهيروغليفية) و نبذ علمية متعلقة بالحفريات المصرية) نشرت في مجلة المتحف المصري السنوية (١)

ومن مؤلفاته المخطوطة كتابه الكبير المهم فهو (قاموس مقارنة اللغة الهيروغليفية بالعربية) يدخل في اثنين وعشرين مجلداً ضخماً باللغات المصرية القديمة والعربية والفرنسية وقد يعارض الكلمة باللغات الاخرى كالقبطية والحبشية والآرامية والعبرية الخ ٠ وهو من اغرب المؤلفات في وضعه اذ يكتب الكلمة ويبيّن اشتقاقها ثم ما عُرف عنها من الآثار فيورده بنصّه ليعلم منه تاريخها ثم يردف ذلك بالالفاظ العربية التي تناسبها ٠ فهو كتاب لغة وتاريخ وآثار وعلم اشتقاق وفلسفة لغة صرف على وضعه نحو ربع قرن ورتب كل حرف في مجلد واحد واضعاً اولاً الرسوم الهيروغليفية ثم الحروف الصوتية فيها ثم ما يقابلها في العربية ثم كتابة الرسوم والحروف معاً ثم ما يقابل الكلمة باللغة الفرنسية وهو عمل شاق (٢) وبقي من مؤلفاته اوراق مخطوطة كثيرة ورسائل ومقالات وكتب واضابير منها محاضرات اعدها الجامعة المصرية في حضارة عيلام وكلدة وبقية الدول الى ظهور الاسلام ٠ ومنها رسالة في (مدينة منف) ورسالة في (التحنيط والجنازة) عند المصريين ٠ والقواعد النحوية بالالمانية والعربية ٠ ونبذ علمية اثرية نشرت في مجموعة الاعمال المصرية القديمة والاشورية ومجلة المعهد العلمي المصري ونشرة الجمعية الجغرافية

واما مقالاته فكثيرة لا يأخذها عدّ نشرت في المقتطف والهلال والمنار والعمران

---

(١) راجع (معجم المطبوعات) لصديقي الاستاذ يوسف افندي اليان سركيس الدمشقي نزيل مصر (٢) وكان بيد المحاضر صفحة منه بخط المؤلف ارسلها اليه قبل الحرب لينشرها في مجلة الآثار فعرضها على الانظار فأعجب الحاضرون بها

والآثار ومجلة المجمع العلمي العربي من المجلات وفي المقطم والاهرام واللواء المصري والوطن وغيرها من الجرائد في مواضيع شتى تدور حول اللغة والآثار .

ومحاضراته كثيرة اهمها ما ألقي في الجامعة المصرية ونشر في مجلتها جمع في كتاب على حدة ومنها ما ألقي في غيرها مثل محاضرة (تأليه الفراعنة عند المصريين واهتمامهم بالصناعة والادب) ألقاها في الاسكندرية في ١٢ حزيران سنة ١٩٠٨ نشرتها مجلة العمران المصرية . ومحاضرة (العربية والمصرية القديمة) ألقاها في مدرسة المعلمين الناصرية في القاهرة باوائل سنة ١٩١٤ ونشرها المقتطف (٤٤ : ٢٠٩) وله خطب في كثير من الحفلات

الختام

هذه صورة معنوية لفقيد الشرق ومنها يتحصّل ان الاختصاصيين عندنا لا يزالون عالةً على البلاد باعتقاد كثيرين منا . وكأني برصيفنا المأسوف عليه قد جد قبل اوانه واتقن علمًا يجهلونه فلم يعبأوا به ولهذا كتب آخر مقالاته بتوقيع (أثري منبوذ) لما لاقى من المعاكسات والمناهضات التي نشأت لاحباط مساعيه الحسان في ترقية الوطن . فبكان اثابهُ الله كثيراً ما يقول لاصدقائه الذين يحثونه على انجاز معجمه : «اني أوشكت ان اتم القاموس واقضي الغرض الذي وضعتُ نصب عيني» ومما يؤسف له ان بعض الكتّاب من اخواننا المصريين لم ترقهم مشاريعه الوطنية فنشروا مقالات قصدوا بها احباط مساعيه وربما كان ذلك لاغراض نفسية على ان فريقاً آخر منهم اظهروا فضل اعماله آسفين على فقده ومع هذا فانه لم يكتفُ حتى الان بنشر سيرته وقد مرَّ على وفاته نحو شهرين ونصف . ولا بتثبيت نية وزارة المعارف على طبع معجمه وتجديد مدرسة اللغات ولا بنصب أثر تذكاري تخليداً لاسمه محبوب . ولا برثائه بقصائد . ولا باقامة حفلات تأبينية له . مع اقامة مثل ذلك لمن هو دونه بمراحل في العلم والفضل

هذا هو الرجل الوحيد في الشرق الذي حذا حذو الغربيين بالقول فمن حديث فلانا انهم تفرّدوا به واحتكروا ذكره لاعقابهم فرأينا من مجاراة لهم به توفيقًا في التنويه عنه وتقصّيًا في مباحثه فقرّوا له بالعلم والفضل رحمه الله عداد حسناته واجزل ثوابه